

شهر الخير والعتاء والمحبة



شهر رمضان هو شهر الخير والعتاء والمحبة، هو شهر الإنسانية الفاضلة، وشهر الحرية الصحيحة، شهر الكرم والعتاء، شهر البذل والإنفاق، أنت في رمضان ممسك عن طعامك وشرابك، محارب لذاتك وشهواتك الجسدية، مقبل على ربك بالصوم والصلاة والعبادة والقرآن، وذلك غذاء شهى تستمره الروح، وتتلذذ به النفس الطيبة، وتصفو به الفكرة، ويشرق عنه نور البصيرة؛ فترى الحقائق على صورتها، وتضع كل أمر في نصابه وفي موضعه الذي خلق له، سترى إذا تأثرت بصوم رمضان أن هذه الأعراض الدنيوية، وهذه الأموال الفانية وسائل لا تقصد لذاتها، ولا قيمة لها في نفسها، ولكنها تشرف وتعلو إذا أنفقت في الخيرات، وترخص وتنحط إذا ضاعت في السفاسف؛ فيدفعك ذلك إلى الإنفاق، وأنت معتبط مسرور؛ ولهذا كان رمضان شهر الإنفاق، وسترى إذا تأثرت بالصوم أن من ورائك قوماً جاعت بطونهم، وطمئت حلوقهم، وسغبت أحشاؤهم، وأن في وسعك أن تسدّ جوعهم، وتروي ظمأهم، وتداوي مسغبتهم؛ فيدفعك ذلك إلى البذل والإنفاق؛ ولهذا أيضاً كان رمضان شهر السخاء والجود.

وسترى إذا تأثرت بالصوم أن عاطفة رقيقة يتحرك بها قلبك، وشعوراً دقيقاً تختلج به نفسك، وإحساساً قوياً يسري في جوانحك هو الذي يسميه الناس الرحمة أو الشفقة أو العطف أو الحنان، وسمّه ما شئت، فحسبك أنّه شعور يدفعك إلى مواساة المنكوبين، وإعطاء المحرومين، وكفكفة دموع اليّساء والمساكين بما حسن به إليهم من عطاء، وإذن فرمضان شهر العطاء والبذل، ومتى هان عليك هذا العرض الفتان الذي يسميه الناس المال، وعرفت أنك مستخلف فيه؛ لتنفقه في وجه الخيرات، وليس لك منه إلا ما أكلت فأفديت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت، وفهمت قول (الحديد/ 7)؛ فإنك - بلا شك - ستقدم إلى الخيرات باذلاً منفقاً، وأنت باسم الثغر، رضي النفس، وذلك ما يؤدبك إليه الصوم الشرعي الصحيح.

كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل (ع)، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدارِسُهُ القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة.

أرأيت كيف أن علو نفس رسول الله ﷺ (ص) في درجات الروحانية مع روحانية لقاء جبريل (ع)، مع روحانية تلاوة القرآن، مع روحانية صوم رمضان، كلُّ هذه الروحانيات مجتمعة أثمرت أن يتضاءل سلطان المادة، ويختفي أثر فتنة المال، فيجود به النبي ﷺ (ص) كالريح المرسلة لا يبقى على شيء، وكذلك أثر العبادة الخالصة في نفوس العابدين.

فليذكر المسلم ذلك بمناسبة شهر السخاء والجود، وليذكر معه أن اقتصاده لأمواله لتنفق في سبيل المجد والخير يُضعف من قوة عدوه الذي يستغنى بما يبتز منه، ويتمتع بثروته، ويرتع في خيرات أرضه، ولو سرت هذه الروح الطيبة، وشعرنا بأن في أموالنا حقاً للسائل والمحروم، ولواجب الرقي والنهوض المحتوم لرأينا أنفسنا في غنى عن كلِّ عملٍ مسيء للنفس والمجتمع.

عجيب أمر المسلم اليوم؛ يجود أحدهم في التافه الضار بدم قلبه وعرق جبينه وعصارة روحه، ويبخل بالنزر اليسير، يحقق به أنفع المقاصد، وأنبيل الغايات، ويعتذر عن ذلك بالأزمة، وإن أشد منها فتكاً سوء التصرف وخطأ التوزيع.

فهذا شهر رمضان شهر السخاء والإنفاق، وأمامنا مشروعات كثيرة تهيب بنا إلى الإنفاق، فهل نأخذ أنفسنا في هذا الموسم بالتدرب والتمرين على البذل في سبيل الله؟!!

(هَذَا أَزَيْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُذْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد/د/ 38).